المصدر: الاهـــــرام
التاريخ : ٢٠٠٢/١٠/٦

السادات.. مفكرا ومبدعا

فى ذكرى رحيل بطل الحرب والسلام:

على الرغم من كثرة المؤلفات والكتابات التى تناولت سيرة الزعيم الراحل أنور السادات ومسيرته الحياتية، باعتباره واحدا من أكثر زعماء مصر المعاصرين تأثيرا إلا أن معظم هذه الكتابات ركزت على حياته وسياسته، وتجاهلت جانبا مهما من جوانب شخصيته، هو جانب الأديب والمفكر، على الرغم من اهمية هذا الجانب عند النظر إلى ما اتخذه من قرارات مصيرية.

وباستثناء الناقد المخضرم د. نبيل راغب الذى قدم فى السبعينيات من القرن الماضى مؤلفه القيم «انور السادات رائدا للتأصيل الفكرى»، والأديب الشاب عبدالمجيد مصطفى الذى اكمل عمل سابقه بعد ذلك بعقدين من الزمن بكتابه «أنور السادات أديبا»، باستثناء هذين الكتابين فلا اعرف كتبا اخرى تناولت شخصية الرئيس الراحل من جانبى الفكر والأدب.

وعلاقة السادات بالفكر والأدب أسبق من علاقته، بالسياسة، بل لا اكون مبالغا إن قلت إن الفكر هو الذى قاده إلى السياسة، فإيمانه بالشخصية المصرية كان دافعه إلى الانخراط فى العمل السرى ومقاومة المستعمر واذنابه وهو ما أوضحه فى كتابه «يا ولدى هذا عمك جمال» حين اكد الشخصية المصرية فهى «تاريخ طويل كتبه اباؤنا واجدادنا بدمائهم عبر القرون». ولعل فى هذا التأكيد ما يوضح شغف السادات بعقد مقارنات بين الماضى والحاضر، لإيجاد حافز يضىء الطريق إلى المستقبل.

وارتكز فكر السادات على المناداة بالحب والتراحم والصداقة والوفاء وغير ذلك من القيم النبيلة، وإيمانه بهذه القيم كان سببا فى شغفه بأن يعتبره المصريون «رب الأسرة» وليس رئيس البلاد أو قائدها، فكونه «ربا للأسرة» يعنى رابطة أقوى تربطه بشعبه ومواطنيه.

ولست مع القائلين بأن السادات فى فكره كان منبهرا بحضارة الغرب، فهذا يتعارض مع نظرته إلى الحضارة على أنها توافق بين الماديات والروحيات، وهو ما عبر عنه فى مقالاته التى كان يكتبها عام ١٩٥٦ فى جريدة «الجمهورية» تحت عنوان «شرق وغرب»، وفى إحداها يقول: «حضارة الغرب اليوم ليست حضارة بمعناها العلمى أو النظرى، وإنما هى مدنية، وفرق كبير بين الحضارة والمدنية، فالحضارة تقوم أول ما تقوم على مقومات معنوية وروحية قبل أن يكون لها مقومات مادية».

وهذا الفكر العلمى المبنى على منطق هو ما دفع د. نبيل راغب إلى القول بأن فكر السادات وفلسفته لا يتكثف فقط فى نظرية سياسية وإنما فى نظرية فكرية شاملة تحوى كل جوانب الحياة من سياسة واقتصاد واجتماع وثقافة وتعليم وحضارة.

وهذه الرؤية العلمية تتضح أكثر ما تتضح فى كتابه «البحث عن الذات» الذى وضع فيه خلاصة تجاربه فى صورة سيرة ذاتية كشفت عن روح الأديب الكامنة داخله، أديب تتوافر له ملكات الإبداع من فكر وأسلوب ومعان وكلمات سهلة ممتنعة، فى لغة سلسة اكتسبها من حفظه للقرآن الكريم صغيرا واطلاعه الواسع كبيرا.

ودور السادات فى تفعيل الفكر والثقافة لا يقل عن دوره فى قيادة البلاد سلما وحربا، إذ كان من المؤمنين برفع الوصاية عن الثقافة والمثقفين، عن قناعة صادقة بأن تطوير الثقافة هى مسئولية المثقف لا الدولة. وقد عبر عن هذه الرؤية فى كلمة القاها أمام مؤتمر الاتحاد

الاشتراكى فى يوليو ١٩٧٢، حيث قال: «إن الدولة لا تملك فى مجال الثقافة اكثر من أن توفر سبل التعليم وتهيئ ظروف البحث العلمى، ووسائل نشر المعرفة، ويبقى بعد ذلك أن تطوير الثقافة هو من عمل المثقفين أنفسهم، هذا عن السادات المفكر، أما عن السادات الأديب، فقد كان يرى فى الأدب وسيلة لاكتشاف الشخصية الإنسانية وتكوينها وتقويمها، لهذا كان حرصه على الربط بين الدين والفن، لكونهما يتلاقيان فى تعاملهما وتوجههما نحو روح الإنسان، ولهذا أيضا نجد روح القرية تتجسد فى أعماله، وتتبدى فى أدواته الفنية من تشكيل وحوار وأحداث وصور وانفعالات .

وإلى جانب سيرته «البحث عن الذات» التى توافر لها الكثير من سمات القص، فإن السادات كتب قبل الثورة رواية لم تنشر. ولعل أسرته تتكرم بنشرها، وتحمل الرواية اسم «أمير الجزيرة»، كما نشرت له قصة بعنوان «ليلة خسرها الشيطان» فى مجلة «أهل الفن» بتاريخ ١٩٥٤/٤/١٢، ويدور مضمونها حول الصراع بين الشهوة الجسدية العارمة، والإيمان الروحى، لكنه لا يلجأ إلى الوعظ المباشر، وإنما يبنى حبكته فى شكل فنى قصصى، يعنى عناية كبيرة بالرمز والتجسيد، فى أسلوب أدبى سلس، تتوافر له مقاييس القص الفنية، فقط يعيبه إسرافه فى استخدام اللهجة العامية، والذى يعود - كما يرى الأديب عبدالمجيد مصطفى - إلى تعلقه بمصريته

إن الأعمال الفكرية والأدبية التى قدمها السادات والتى تزيد عن عشر كتب ومئات من المقالات تتطلب منا دراسة الشخصية الإبداعية لكاتبها لمعرفة دافعه الإبداعى، بعيدا عن صولجان المنصب وبريقه، وهى مهمة أمل أن تتبناها «مكتبة الأسرة»، فهذا أقل ما يمكن أن يقدم للاحتفاء بذكرى السادات.

أسامة الألفى